المخـــــدرات ...!

بين الأدباء والعلماء

للدكتور فضل أبو بكر

سأتناول من هذه المواد الغريبة أهمها وأكثرها استعمالا ، وأعني بذلك الأفيون والحشيش . وسميت بالمخدرات لأن من أخص مميزاتها تخدير الآلام الجسمية والنفسية . كذلك يسمونها « المذهلات » Stupifiants لما تسببه من ذهول « وسطل » ، وهو الإسم الذى تعرف به فى علم الأدوية والعقاقير

هى قديمة كالأزل عرفها الإنسان منذ أقدم العصور ، وقد ذكر هوميروس نبات الأفيون فى إلياذته . كذلك أبو قراط إله الطب عن قدماء الإغريق كان يستعملها فى العلاج لبعض الأمراض مثل الهستريا التى كان يظن من مسبباتها عند النساء نزول الرحم والأمعاء وهبوطهما من المكان الخاص بهما فى البطن . وقد حذا حذوه فى استعمال الأفيون — بقصد العلاج — بعض أطباء الإغريق والرومان ، ونذكر من الأخيرين « أندروماكلوس » Andromaclus طبيب نيرون الخاص كان يستعمله مع بعض العقاقير كمخدر وكنوع من الترياق . كذلك أطباء العرب وصيادلتهم مثل ابن البيطار الذى فند تعاليم جالينوس والذى يدين له علم الأدوية والعقاقير بالشئ الكثير . أما ابن سينا ومن انتمى إلى مدرسته من الفلاسفة والعلماء ، فقد استعملوه بكثرة فى الأدوية والعلاج .

أما فى القرون الوسطى فقد قل نسبيا استخدام الأفيون فى العلاج . واستمر الحال كذلك إلى أواخر القرن السابع عشر فقد هيئ له أن يبعث من جديد على يد الطبيب المعروف « سيدنهام » « Sydenham » إذ خلط منقوع الأفيون — المنقوع فى الكحول — بالزعفران والقرفة والقرنفل وركب منها خليطاً مشهوراً باسمه ولا يزال يستعمل ليومنا هذا ضد بعض حالات

وأهدى إليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيفة ووصيف . وفى الهدية جارية يقال لها محبوبة كانت لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس . فحسن موقعها من المتوكل ، وحلت من قلبه محلا جليلا[1] .

وبعث الحسن بن وهب إلى المتوكل بجام من ذهب فيه ألفا مثقال من عنبر[2] .

وأهدى إليه خالد المهلبى فى يوم نيروز ثوب وشى منسوجا بالذهب ومشمة عنبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ، ودرعاً مضاعفة ، وثوباً بغدادياً فأعجبه حسنه ، ثم دعا به فلبسه . وقال : يا مهلبى إنما لبسته لأسرك به ، فقال يا أمير المؤمنين : لو كنت سوقة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك ، فكيف وأنت سيد الناس[3] ؟

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٩٥ .
(٢) المحاسن والأضداد ص ٢٨ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨١
١٢ ٢٧

وذكروا أنه كان للمتوكل جارية اسمها شجرة الدر . وكان يميل إليها ميلا كبيراً ويفضلها على سائر حظاياه . فلما كان يوم المهرجان أهدى إليه حظاياه هدايا نفيسة واحتفلن فى ذلك ، فجاءت شجرة الدر بعشرين غزالا تربية ، على كل غزال خرج صغير مشبك حرير فيه المسك والعنبر والغالية وأصناف الطيب ، ومع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب وفى يدها قضيب ذهب فى رأسه جوهرة فقال المتوكل لحظاياه ، وقد سر بالهدية ، ما فيكن من تحسن مثل هذا وتقدر عليه . فحسدنها وعملن على قتلها بشئ سقينه لها فماتت[1] .

وإلى جانب هذه الألوان من الهدايا كانوا يهدون الطين . قال الثعالبى : وكانوا يهدون طين نيسابور ، وهو طين الأكل لا يوجد مثله فى الأرض ، يحمل إلى أدانى البلاد وأقاصيها ، ويتحف به الملوك ، وربما بيع الرطل منه بدينار[2] .

(له بقية)

صلاح الدين المنجد

(١) مطالع البدور ج ٢ ص ١٣٦ .
(٢) ثمار القلوب ص ٤٢٨ .

الإسهال وآلام البطن . وقد قال فى ذلك الطبيب سيد نهام إنه لولا الأفيون لصار الطب ناقصا أجدع .

أما الحشيش فقد عرف كذلك منذ آباد وأجيال سحيقة ؛ فالهنود والصينيون كانوا يتعاطونه منذ أقدم العصور . وقد أدخله إلى بلاد الغرب بعض قبائل البدو والرحل الذين كانوا يقطنون شمال أسيا والجزء الواقع فى الشمال الشرق من أوربا . وقد روى « هيرودوت » المؤرخ أن تلك القبائل كانت تغلى بذور فاكهة الأفيون فى الماء وتستنشق البخار المتصاعد ثم تحتسى فى نشوة عجيبة منقوع هذه البذور .

وأول من عنى بدراسة الحشيش من الوجهة العلمية هما الطبيب الألمانى « مارشال » والطبيب الفرنسى « مورو دى تور » الذى كان مديراً لمستشفى الأمراض العقلية والعصبية فى باريس والذى كتب فى سنة ١٨٤٥ مؤلفاً نفيساً سماه « الحشيش والجنون » يصف فيه خواص الحشيش وأثرها فى الجهاز العصبى ، وقد تعاطى هذه المادة وجرب أثرها فى نفسه . وقد قيل فى المثل « سل المجرب ولا تسل الطبيب » فقد كان مجرباً وكان طبيباً فلا غرابة أن كان مؤلفه مصدراً موثوقاً به فى هذا الصدد .

الأدباء والمخدرات :

كان بعض الأدباء يتعاطى هذه المواد ووجدوا فيها إلهاماً وإيحاء ووصفوا مفعولها وصفاً رائعاً يشوبه الخيال وما يمليه من مبالغات تنافى بعض الشىء صرامة العلم ودقة العلماء . ومن هؤلاء الأدباء الأديب والشاعر الفرنسى « شارل بودلير » الذى عاش إلى سنة ١٨٦٧ وهو من أعظم شعراء الغرب وأشبههم من حيث الرقة والظرف والمجون بأبى نواس؛ فقد ورد فى بعض مؤلفاته — واسمه « الفردوس الاصطناعى » — وصف الحشيش ؛ فتأمله إذ يقول: « إن فى الإنسان رغبة مستأصلة لإدراك المثل العليا والوصول إلى الحقيقة ؛ لذلك يحاول ما أمكنه أن يخلص الروح ويطلقها من سجنها المادى العائق لها عن الوصول لهذه الأهداف . كذلك السعادة هى الضالة المنشودة لبنى الإنسان؛ وبما أنها ليست فى متناول الجميع فهو يحاول ما أمكن أن يتوهمها ويصطنعها : فقدح من مدام وشهقة من تبغ ومضغة من عشب (الحشيش) بهذا فقط تجد الروح تخلصت وتبدلت » .

أما الكاتب الفرنسى المشهور « تيوفيل جوتييه » الذى عاش إلى سنة ١٨٤٣ فقد ألف كتاباً سماه « نادى الحشاشين » يصف فيه مفعول الحشيش وأثره فى نفسه فيقول: « ما هى إلا بضع دقائق حتى استولى على جسمى التخدير، وخيل إلىّ أن جسدى قد ذاب وانحلت مادته وصار شفافاً ، فأبصرت قطعة الحشيش التى مضغتها تنزل هابطة فى أحشائى كأنها زمردة تشع منها اللايين من أجسام ذرية لامعة ؛ وتراءى لى أن هدب عينى يطول ويمتد إلى اللانهاية ثم يطوى كأنه أسلاك رفيعة من الذهب ويلتف حول عجلات صغيرة من العاج تدور حول نفسها بسرعة مدهشة ، وقد انتفتنى نهيرات من لجين تكدست على شواطئها أكوام من الحجارة الكريمة من مختلف الأشكال والألوان . وبعد فترة قصيرة تبددت عنى هذه الأحلام ، وعدت إلى صوابى من غير ما خمول أو صداع كما يعقب عادة شرب الخمر . وقد هالنى كثيراً ما رأيت . وما كادت تمضى نحو نصف ساعة حتى عاودتنى النشوة وتهت فى ملكوت الحشيش . غير أن أحلامى فى هذه المرة كانت أشد غرابة وأكثر تعقيداً . فقد أحاطت بى هالة من نور يأخذ وميضه بالأبصار ، وتطير حول هذه الهالة ملايين من الفراش لها أجنحة ذات ألوان مختلفة تسر الناظرين ، وسمعت لأول مرة صوت الألوان المختلفة . فهنالك صوت أصفر وأزرق وأخضر وأحمر؛ وهذه الأصوات اللونية تصل موجاتها إلى أذنى فى وضوح تام . كذلك رأيت أكثر من خمسمائة ساعة دقاقة تنبىء عن الوقت بدقات أشبه بأهازيج العود والمزمار وقد ذابت نفسى فى اللانهاية ، وخيل إلى أن هذا الحلم إنما دام نحو ثلثمائة عام ، وإن كان من المستحيل تقدير الزمن على وجه التحقيق إذ كانت المناظر تتتابع وتتنوع بسرعة ، وما إن عدت إلى رشدى حتى رأيت أن هذا الحلم لم يدم أكثر من ربع ساعة » .

ومن أدباء الانجليز أذكر « توماس دى كنسى » وكان يعنى كثيراً بدراسة « الكلاسيك » من الأدب الأغريقى والرومانى القديم ، وقد ألف كتاباً بعنوان « اعترافات مدمن فى الأفيون » فتأمل حين يناجى المدمن مخدره العزيز :

« أيها الأفيون أنت الحق والحقيقة ! أنت حياة المحتضر

ومال الموز وسعادة الشق والخالق من الشجى خلياً ! أنت علمهم البيان ! أنت الذى تذكر المجرم والقاتل أيام الطفولة الغريرة حيث لا جريمة ولا جريرة ! أنت الذى تشيد فى غسق الظلام قصوراً وبنياناً أكثر سحراً من بنيان بابل وطيبة » .

كذلك الشاعر الانجليزى « كولردج » وقد كان ممن يتعاطونه من وقت لآخر بقصد التنبيه ونشاط القريحة ، وقد كتب قصيدته « كبلخان » بعد أن تعاطى ماتيسر من الافيون وهى تعد من أرق أنواع الشعر وأرقاه معنى .

أما أثر هذه المواد من الوجهة الطبية والفسيولوجية فها كما باختصار كما يلى :

١ — تخدر الأعصاب ، ولذا كان لها تفوق كبير فى تسكين الآلام الناشئة من الأمراض . كذلك من خواصها التنويم ، ولكنه نوع خاص من النوم يمتاز باسترخاء تام وتراخ فى العضلات تتخلله أحلام هنيئة ومتنوعة . أما من الوجهة النفسية فهى تساعد على حضور البديهة وسرعة الخاطر ، ويلى ذلك شىء من التهيج واضطراب الأفكار يطرأ تدريجياً وحسب كمية المخدر . أما أثره على الجزء الخاص بالتحرك من الجهاز العصبى فهو أقل بكثير من أثره على الجزء الموكل بالحس والشعور .

٢ — تنقص جميع الافرازات الخاصة بالجهاز الهضمى فيعيق الهضم ويعطله كما يقل من حدة الشهية ، ويساعد على الإمساك . كذلك له مفعول سيء على الكبد الذى يعد أهم عضو لمكافحة السموم الطارئة على الجسم من الداخل ومن الخارج .

٣ — تساعد المخدرات على التنفس لذلك تستعمل فى بعض أمراض الصدر والقلب التى تسبب حصراً وضيقاً فى التنفس مثل الربو والنزلات الشعبية والأزمات القلبية والرئوية .

٤ — تنقص المخدرات من كمية البول لأنها — كما أسلفنا — تقل من جميع الافرازات ما عدا الافراز العرقى فهى على النقيض تكثره وتنشطه . أما الجهاز التناسلى فقد تسبب تهيجاً جنسياً ، ولكن إلى حين وفى بادىء الأمر فقط ، ولكن هذا التهيج وتلك الاثارة يعقبها خمول وضعف فى الرغبة الجنسية .

هذه نبذة موجزة عن بعض المخدرات عالجت موضوعها باختصار من الوجهة التاريخية والأدبية والعلمية .

فضل أبو بكر

وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

المناقصات العامة

إعلان مناقصة

تقدم العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة وكيل المعارف المساعد بشارع الفلكى بالقاهرة بالبريد الموصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميه فى داخل الصندوق المخصص لذلك فى إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم الأثنين الموافق ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٦ عن توريد عدد وادوات المدارس الريفية لعام ١٩٤٦ — ١٩٤٧ ويمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة المذكورة من إدارة التوريدات بشارع الفلكى بالقاهرة نظير دفع ١٠٠ مليم . ٥٦٧٩

إعلان

وزارة الزراعة تشهر للبيع بالمزاد العلنى حوالى ٩ طن (تحت الزيادة والعجز) بذر خروع موجود بتفاتيش سخا ومحلة موسى وسدس والمطاعنة — بالجلسة التى ستعقد بديوان الوزارة بالدقى فى يوم ١٠ / ٨ / ١٩٤٦ إبتداء من الساعة العاشرة والنصف صباحاً لغاية الساعة الثانية عشر والنصف — فعلى راغبى الشراء معاينة الصنف بمحل وجوده ، قبل وتطلب الاستعلامات والشروط من التفاتيش المذكورة أومن الوزارة (قسم الزارع) ٥٧٦٢